الله عنه عشر سنين وستة أشهر وخمسة أيام ، وخلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه اثنتا عشرة سنة الاّ اثني عشر يوماً ، وخلافة علي كرم الله وجهه أربع سنين وثمانية أشهر ، وتكون مدة خلافة الحسن رضي الله عنه منها وهي سبعة أشهر فتمت بها ثلاثين سنة وثلاثة أيام ، فكانت خلافته منصوصاً عليها .

وبايعه أكثر من أربعين ألفاً كلهم قد بايع أباه ، وكانوا أطوع للحسن ، فبقي نحو سبعة أشهر خليفة ، وبويع له بالخلافة يوم وفاة والده ، ثم سار إلى المدائن واستقر بها ، ثم أشاروا عليه بالمسير ليأخذ الشام من معاوية ، وسار معاوية بجيش الشام لقصده ، وجعل الحسن قيس بن سعد بن عبادة على مقدمة الجيش . ثم نادى مناد ان قيساً قد قتل فانفروا ، فلما خرج الحسن عدا عليه الجراح بن الأسدً فوجأه بخنجر في فخذه ليقتله ، فقال الحسن : قتلتم أبي بالأمس ووثبتم عليّ اليوم تريدون قتلي زهداً في العادلين ورغبة في القاسطين ، والله لتعلمن نبأه بعد حين .

فلما تقارب الجيشان، وتراءى الجمعان بموضع يقال له (المسكن) بناحية (الأنبار) من أرض السواد ، عرض عليه معاوية الصلح وبعث اليه بورق أبيض ، وقال : اكتب ما شئت فيه فالتزمه ، فكتب الحسن رضي الله عنـــــه :

« بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما صالح عليه الحسن بن علي ومعاوية ابن أبي سفيان ، صالحهُ على أن يسلم اليه ولاية المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً ، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين ، وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم ، وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا ، وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله تعالى وميثاقه ، وأن لا يبغي للحسن